جان كوكتو

المسرحية الثانية

الصوت الإنساني

مسرحية من فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

JEAN COCTEAU
LA VOIX HUMAINE

الشخصية

أدت دور الشخصيّة الوحيدة
الآنسة : بيرت بوفي
قُدّمت مسرحيّة «الصوت الإنساني» لأول مرة
على مسرح «الكوميدي فرانسيز»
في ١٧ شباط (فبراير) سنة ١٩٣٠.

مقدّمة

بقلم الكاتب

الكاتب يحب التجارب. أمّا وقد درجت عادة التساؤل عمّا ينوي أن يعمله بعد أن شاهد ما فعله، فقد يغدو من الأيسر الاستعلام مباشرة بلا وسيط.

أما البواعث التي جعلته يزمع على كتابة هذا الفصل المسرحي فعديدة:

١ً- الباعث الغامض الذي يحث الشاعر على الكتابة، فيما ترفضها كل نوازع الكسل العميقة، الكامنة في داخله، وترفده، من غير شك، ذكرى حديث على الهاتف سمعه على حين غرّة، والرنّات الخاصّة لصوت رزين هو نسيجُ وَحْدِه، وأبديّة فترات الصمت.

٢ً- يأخذون عليه التعامل بالماكينات، والإفراط في مَكْنَنَة مسرحياته، والمبالغة في الاعتماد على الإخراج. فحرص على اختيار الشكل الاكثر بساطة: فصل واحد وحجرة واحدة

وشخصيّة واحدة والحب، ثم جهاز الهاتف كمتّم مبتذل للحجُرات العصرية.

٣- إن ما يمثله المسرح الواقعي بالنسبة للحياة شبيه بما تمثله لوحات صالة الفنون الجميلة (البوزار) بالنسبة للطبيعة. كان ينبغي رسم امرأة جالسة. وليست امرأة ما، أيْ امرأة ذكيّة أو غبيّة، بل امرأة مجهولة، وتفادي الكلام ببراعة والمحاورة القائمة على الاجابات السريعة وبالمثل، وكلمات عاشقة تسبب من الضيق ما تسببه كلمات الاطفال، أي باختصار كل ذلك المسرح الذي تلا المسرح القاطر بالسموم والذي حلّ بسماجة ومداجاة محل المسرح من دون ما أوصاف، المسرح الحقيقي، وحسابات سوفوكليس وراسين وموليير الحيّة.

ويتمثّل الكاتب مشقة المشروع. فيعمد عاملا بنصيحة فيكتور هوغو، إلى ربط التراجيديا والدراما بالكوميديا، تحت رعاية ما يقدّمه الجهاز، الأقلُّ ملاءمةً للتصدّي لشؤون القلب، من بلبلة وتشويش.

٤- يؤخذ أخيراً على الكاتب ما يَطْلُبُه في الغالب من ممثليه كطاعةٍ مجحفة بمواهبهم، مع مطالبته بأن يكون دوماً في المصاف الأول. فرغب في كتابة مسرحية غير مقروءة. ومثلما دُعِيَتْ مسرحيّته «روميو» فرصة للاخراج، تصلح هذه لأن

تكون فرصةً لممثلة . فالعمل سيتوارى وراء تمثيلها ، لأنّ الدراما ستعطيها الفرصة لتأدية دورين اثنين ، الأول حين تتكلم ، والثاني حين تصغي ، فتحدّد ملامح الشخص غير المرئيّ الذي يعبّر من خلال فترات الصمت عن نفسه .

ملاحظة- يخطيء من يعتقد أنّ الكاتب يبحث عن حلّ معضلة نفسية ما . إذ أنّ همّه مقتصرٌ على حلّ مسائل ذات طبيعة مسرحيّة . فالداء الذي ينبغي أن نتصدّى له كامن في المزج بين المسرح والوعظ والخطابة والكتاب . والمسرح النقي سيغدو شعاراً عصرياً ، ما لم يكن قولنا المسرح النقيّ والشعر النقيّ لغواً ليس إلاّ ، ذلك أنّ الشعر النقيّ يعني : الشعر ، والمسرح النقيّ يعني : المسرح . وكلّ ما خلا ذلك باطل .

يضيف الكاتب أنّه أعطى هذا الفصل المسرحي الى «الكوميدي فرانسيز» ليقطع الطريق على أسوأ أشكال التعصّب : المسرح الشاب في مواجهة المسرحيات الرسميّة . فحين أفسح مسرح الجادات[1] المكان للفن السينمائي وحين احتلّ مايدعى بالمسرح الطليعي موقع مسرح الجادات بصورة تدريجيّة ، لم يبق إلاّ الإطار الرسمي ، الإطار الذهبي ، هو

١ - مسرحيات شعبية وهزليّة كانت تُعْرض في الجادات . (م)

الوحيد القادر على إبراز عمل ليست جِدَّته واضحة كعين الشمس.

إن جمهور الجادّة الجديد يتوقّع كلّ شيء. فهو متلهّف للأحاسيس. ولا يقيم تقديراً لأيّ شيء. أمّا «الكوميدي فرانسيز» فما يزال لديه جمهور متلهّف للعواطف. وبينما تتوارى شخصية الكُتّاب لصالح مسرح مجهول، فإنّ «عرضاً للكوميدي فرانسيز» كفيل بإعطاء المؤلّفات، ما تتمتع به من تميّزٍ وبعْدٍ، حين يكفّ واقع الحال عن تشويهها.

الديكور

خشبة المسرح مصغّرة محاطة بإطار أحمر من الستائر المدهونة، يمثل زاوية غير متساوية من حجرة امرأة. الحجرة معتمة ضاربة إلى الزرقة، فيها على اليسار سرير بحالة فوضى وعلى اليمين باب مشقوق يؤدّي الى غرفة حمّام بيضاء مضاءة جداً. امّا في الوسط، فوق القاطع، فنشاهد صورة فوتوغرافية مكبّرة لاحدى الروائع الفنيّة بوضع مائل أو صورة عاذلية. أي باختصار صورة ذات مظهر غير متألّق.

يقوم أمام حفرة الملقّن، كرسي واطىء ومنضدة صغيرة: جهاز هاتف وكتب ومصباح يعكس نوراً عنيفاً.

ترتفع الستارة عن حجرة جريمة قتل. اذ تشاهد امرأة بقميص نوم طويل مستلقية على الارض أمام السرير كقتيلة. فترة من الصمت. تجلس المرأة فتغيّر وضعها ثم تظل ساكنة أيضاً. أخيراً تتخذ قرارها فتنهض لتأخذ معطفاً من على السرير وتتوجّه صوب الباب بعد توقّف قصير أمام جهاز الهاتف. ما إن تلمس الباب حتى يرنّ جرس الهاتف. فترخي المعطف

وتنطلق. يعيق المعطف حركتها فتزيحه بركلة قدم وترفع السمّاعة.

بدءاً من هذه الدقيقة، سوف تتكلّم وهي واقفة أو قاعدة، مديرة ظهرها ثم وجهها أو بشكل جانبي، وقد تجثو وراء مسند الكنبة فلا يظهر منها غير رأسها، وتتكيء على المسند وتظلّ تجوب أرجاء الحجرة وهي تجرّ السلك وراءها حتى النهاية حيث تهوي مواجهة على السرير. عندئذ يتدلى رأسها وترمي السماعة من يدها كالحجر.

ينبغي لكلّ وضع من الأوضاع التي تتخذها أن يتلاءم ومرحلة بعينها من مراحل المونولوج- الحوار (مرحلة الحديث على الكلب- مرحلة الكذبة- مرحلة المشتركة بالهاتف، الخ.) أما التوتّر العصبي فلا يتمثّل بالاستعجال وإنّما بتلك المنظومة من الأوضاع التي على كلّ وضع منها أن يجسّد قمّة الضيق.

مئزر، سقف، باب، كنبة، أغطية ملابس، عاكسات نور بيضاء. ينبغي ايجاد طريقة إنارة لحفرة الملقّن تشكّل ظلا عالياً وراء المرأة الجالسة، وتبرز إضاءة العاكس.

بما ان أسلوب هذا الفصل المسرحي يستبعد كل ما هو شبيه بالحوار السريع والكلام ببراعة. فإنّ الكاتب يوصي الممثلة التي

ستؤدي الدور بدون إشرافه، أن لا تُضَمِّن كلامها أيّة لهجة تهكُّم تصدر عن امرأة مهانة ولا أيّة مرارة. فالشخصية ضحيّة بَيْنَ بَيْنَ، وهي عاشقة من البداية حتى النهاية. ولم تحاول غير مكيدة واحدة: أن تمدّ يد المساعدة للرجل كي يعترف بكذبته وأن لا يخلّف في نفسها تلك الذكرى الدّون. ويتمنّى على الممثلة أن تعطي الانطباع أنّها تنزف، أنّ دمها يسيل غزيراً، مثل وحش مصاب وكأنها تنهي الفصل في حجرة لطّخها الدم.

يرجى التقيّد بالنص، لأنّ الأخطاء النحوية والعبارات المكرّرة وسياق الجمل الأدبية، والعبارات المُسِفَّة، ناجمة كلّها عن تقدير فَطِن.

ملاحظة: لن يغرب عن بال القارىء الفطن أن الحديث على الهاتف يجري في مدينة باريس قبيل عام ١٩٣٠ -المترجم-

ألـــــو، ألـــــو، ألـــــو. . . . .
ولكن لا، يا مـــدام، عـــددنا كـــبـــيـــر على الخط،
أغـــلـــقـــي. . . . . ألـــو. . . . .
أنـت مُشْتَرِكــــــــــة. . . . . . . آه! . . . .
ألو! . . . . لكن يا مـــــــدام،
أنـــت أغـــلـــقـــي الخـــط . . . . ألـــو،
يا آنســـــة، ألو. . . . . دعـــــينا. . . . . .
كـــلا، هنا ليس الدكـــتـــور شـــمـــيت. . . . .
صفر ثمانية، وليس صفر سبعة. . . . . ألو. . . . .
هذه مـــهـــزلة. . . . . لقـــد طلبـــوني، لست
أدري. (تُغْلق الخط ويدها على الســـمـــاعـــة.
جـــرس الهـــاتف يرن). . . ألو! . . لكن، يا مـــدام
ماذا تريدين منّي أن أعمل؟ . . . إنّك تسبّبين لي إزعاجاً
شـــــديداً. . . . كـــــيـــف، غـلـطـتـي. . .
لا البـــــتّة. . . لا البـــــتّة. . . ألو! . . . ألو،
يا آنسة. . . إنّهم يطلبونني ولاأستطيع أن أتكلّـم. علـى
الخـــط أنـــاس كُثُر. قولـــي لتلـك السيـــدة أن تخـــرج
عـــن الخـــط (تغـــلق الخـــط. جـرس الهاتف يرنّ.)
ألـــو! هـــذا أنـــت؟ . . هـــذا أنـــت؟ . . .

نعم.... أسـمـعكَ على نحـو سيء جـداً... أنتَ بعـيـد جـداً، بعـيـد جـداً.... ألو.... هذا رهيب....... هـناك عـدة أشـخـاص على الخط... أطلب ثانية. ألو! أ.ط.لـ.ب ثا..نية أقـول: اطلبني ثانيـة.... ولكن، يا مـدام، اخـرجي عن الخط. أكـرّر لك القـول لست أنا الدكـتـور شـمـيت.............. ألـو!...

(تغلق الخط. جرس الهاتف يرّن).

آه! أخـيـراً.... هـذا أنـتَ....

نـعم.... حـسن جـداً..... ألـو!.....

أجل.. .كـان أمـر سـمـاعك بين كل هؤلاء الناس عـذاباً حـقـيـقـيـاً... أجل.... أجل....

. . . .

كـلا.... إنّهـا مـسـألة حظ... رجـعـت قـبل عـشـر دقـائق..... لـم تكن قـد طلبـتني بـعـد؟.... آه!.... كـلا، كـلا....

... تناولت الـعـشـاء خـارجـاً...... عند مـارت..... لابد أنّهـا الحـادية عـشـرة والربع... أنت في البـيت؟... إذن انظر الى سـاعـة الحـائط

الكهـربائيـة . . . هذا مـا كنت أحـسـبـه . . . . . .
نعم . نعم ، حـبيـبي . . . . البـارحـة مـسـاء؟ البـارحـة
مـسـاء رقـدتُ عـلى الفـور ، ولمّا لـم
استـطع أن أنام ، تنـاولـتُ قـرصـاً
. . . . كـلا . . . واحـداً . . . في السـاعـة التـاسـعـة
. . . . كـان بي صـداع خـفـيف إلا أنّي
تحـركت . جـاءت مـارت . تناولـت الغـداء مـعي .
اشـتـريت بعض الحـاجـات . عـدت الى البـيت .
وضـعت الرسـائل كلّهـا في المحـفظة الصـفـراء .
أنـا . . . . مـاذا؟ . . . . قـويّة جـداً . . . .
أقسم لك . . . . أنا على جـانب كـبـيـر ، كـبـيـر من
الشـجـاعـة . . . . بعـدئذ؟ بعـدئذ ارتديت
مـلابسي ، وجـاءت مـارت لتـصـحـبني وهذا . . .
أنا قـادمـة من عندها . كـانت على خـيـر مـا ينبـغي . . .
جـداً ، طيّبـة جـداً ، رائعـة . . . . يبـدو هذا ،
لكنّهـا ليـست كـذلك . كنتَ على حق ، مـثلمـا أنت
دومـا . . . .
ثـوبـي الـوردي ، مـع الـفراء . . . . .
قـبّعـتي السـوداء . . . . . . أجل ، مـازالت

قـــبّعـــتي على رأسي . . . . . كـــلا ، كـــلا ، لا أدخّن .
لـم أدخّن إلاّ ثـلاث ســـــــجـــــــائـر . . . . بـلـى ،
هـذا صـــحـــيح . . . . بلى ، بلى . . . . أنت لطيف . . .
وأنت ، عـــــدت لتـــــوك؟ . . . . . لبـــــثت في
الـبـــــــيـت . . . . أيّة دعـــــــوى؟ . . . .
آه! أجل . . . . لا يـنبـــغي أن تتـــعـب نفـــسك
. . . . . . ألـو! ألـو! لا تـقـطـعـــــوا الخـط . ألـو! . .
. . . . ألـو! حـــــبـــــيـــــبي . . . . ألـو . . . .
اذا قطعـــوا الخط ، اطلبني ثانيـــة على الفـــور . . .
. . . . بشكل طبـــيـــعي . . . ألـو! كـــلا . . . .
أنـا هـنـا . . . المحـــــفـظـة؟ . . . رســـــائـلـك
ورســـائلي . بوســـعك أن تبـــعث بمن يأخـــذها
حـــينمـــا تشـــاء . . . . . شيء من القـــسوة . . . . أنا
أدرك . . . إيه! حـــــبـــــيـــــبي ، لا تعـــتـــذر ،
هذا طبـــيـــعي جـــداً إنما أنا غـــبـــيـــة . . . . .
. . . .
. . . . أنـــــت لـــــطـــــيـــــف . . . .
. . . . أنـــت لـــطـــيـــف . . . . وأنـــا
أيضـــا لـم أكن أحـــســـبني بهـــذه القـــوة . . . . . لا

ينبـــغي أن تطريني . أتحـــرك قليـــلاً مـــثل من يمشي في نومـــه . أرتدي مـــلابسي ، أخـــرج ، أعـــود بصـــورة آليـــة . قـــد أكـــون غـــداً أقلّ شـــجـــاعـــة .

. . . .

. . . . . أنـــت؟ . . . . . كـــــــــــــــلا .

. . . . . لكن ، يا حـــبـــيـــبي ، ليس لـدي أدنى لـوم حـــــيـــــالـك . . . . أنا . . . . . أنـا

. . . . . . دَعْ . . . . . .

كـــيف؟ . . . . طبـــيـــعي جـــداً . . . . .

. . . . . على النقـــيض . . . . كـــان . . . . .

. . . . كـــان من المسلّم به دومـــاً أن نتـــصـــرّف بصـــدق . وإنّهـــا في نظري لجـريمة لـو تركـتني ، من غـيـر أن تعـرف شـيـئـاً حـتى الدقـيـقـة الأخـيـرة . فـالضـربة عندئذ ســتكون فـــائقـــة العنف ، أمـــا هكذا فـــقـــد تـوفّر لـديّ الـوقـت كي أتعـــــودّ ، وأفـــــهـم . . .

. . . . . أيّة مـــســـرحـــيـــة؟ . . . . ألو!

. . . . من؟ . . . أن اؤدي حـيـالك مـسـرحـيـة ، أنـــا! . . . . . أنـت تـعـــــــــرفـني ، أنـا لا أقـــوى على إجـــهـــاد نفـــسي . . . . كـــلا

على الاطلاق. . . كــــلا على الاطلاق. . . .
هادىء جــــداً. . . . كنتَ سـمـعـتَه. . .
. . . أقول: كنت سمعته. ليس صوتي صوتَ
من تخــفي شــيــئــا. . . .
. كــلا. قــرّرتُ أن أصــيــر شُجــاعــةً وســوف
أكــون ذلك. . . إســمح. . لم يكن الأمــر
مماثــلاً. . . . هــذا ممــكــن، لــكــن
مهما خامرنا الشك وتَحَسّبْنا للمصيبة، انتهى
بنا الأمــر دومــاً الى الوقــوع على قــفــانا. . لا
تبــالغ. . . . لقــد توفّر لي الوقت
مع ذلك لأن أتعــوّد. وكنتَ حــريصــاً عليّ
فــدلّلتني ونومّــتني. . . .
كان حبّنا يوالي تقدّمه مجابهاً مصاعب لا تحصى.
كــان عليّ أن أقــاوم. إمّا أن أرفض خــمــســة
أعــوام من الســعــادة. أو أقــبل بالمخــاطر. لم
أحسب قط أنّ متــاعب الحيــاة ستــسوّى. إنّني
أســدّد غــاليــاً، فــرحــاً لا يُقَدَّر بثــمن. . . .
. . . ألو. . . . لا يقــدّر بثــمن. ولست
نادمــة. . . . لست. . . لست نادمــة على

شـيء الـبـــــتــــة- الـبـــــتــــة. . . . .

. . . .

أنـــت. . . . . . أنـــت مـــــــــــــــخـطـــيء

. . . . أنـــــت. . . . أنـــــت. . . .أنـــــت

مـــــــــــــخـطـــيء. أنـــا. . . . . ألـــو!. . . .

. . . أنا نلت ما أستحقّه. رغبت في أن أكون مجنونة

وأن أنال ســعـــادة جنونيـــة. . . . . حـــبـــيـــبي

. . . . إســــــــــــمـع. . . . ألـــو!. . . .

. . . . . حـــبـــيـــبي. . . . دعنـي. . . .

. . . ألـــو. . . . دعـــنـــي أتـــكـــلـــم. لا تـــتّهـــم

نفـــسك. الخطأ كلّه خطئي أنا. بلى، بلى. . . .

تذكّر يوم الأحـــد في فـــرســـاي والزورق المطاطي

. . . . آه!. . . . . . إذن!. . . . .

. . . أنا التي رغـــبت في المجيء، وأنا التي وضـــعت

يدي على فمك لأمنعك من الكلام، وأنا التي قلت لك إنني

لا أقــيم للأشـــيـــاء كلّهـــا وزنا. . . . لا. . . . لا

. . . . لا. . . . أنت هنا غـــيـــر مُحِق. . .

. . . . . أنـا. . . . . . أنـا هتـــــــفت فـي

البـــداية . . . . كـــلا ، الثـــلاثاء . . . .
يـوم ثـلاثـاء . . . . إنـني واثـقــــة مـن ذلـك . يـوم
ثلاثاء في ٢٧ . وصلت برقيتك مساء الاثنين في ٢٦ . هلاّ
تذكّرتَ إنّني أحـفظ التـواريخ عن ظهـر قلب . . . .
. . . . . . أمّك؟ لمــــــــــــاذا . . . . .
ليس في واقع الأمـــر مـــا يســتـــدعي ذلك . . . لا
أعــــرف بعـــــد . . . . نـعـم . . . . . . ربما
. . . . آه! كــلا ، ليس على الفــور بكل تأكـيـــد ،
وأنـــت؟ . . . . . غـــــــداً . . . . لـم
أكن أحـسب أنّ المسـألة بهـذه السـرعـة . . . . إذن
انتظر . . . . الأمـــر بســيط جــداً . . . غـــداً
صــبــاحــاً أضع المحـفظة لدى حـارسـة المبنى . لـن
يبـقى على جـوزيف الاّ المرور لأخـذها . . . آه! أنا ،
أنت تعــرف أنّ بوسـعي أن ألبث هنا ، كـمـا بوسـعي
أن أتوجّه لقـــضـــاء بضــعـــة أيام في الريف
عــنــد مــــــــــــارت . . . . .

. . . .

إنّه هنا . مَثَلُه كـمـــثلِ روحٍ مــعــذَّبة في النار . أمــضى
الوقت يوم أمس مـتنقّلاً مــا بين البــهــو والحــجــرة .

كـان ينظر إليّ، وينْصب أذنيـه ويصـيغ السـمع. كـان يبـحث عنك في كل مكان. ويبـدو كـأنّه يلومني على بقـائي جـالسـة وعـدم مـشـاركـتي إيّاه في البـحث

. . . .

. . . . أرى الحلّ الأمـــثل فـي أن تـأخـــذه أنـت. . . . لابّد أن يـكـون هـذا الحـيـــوان شـــقـــيّاً. . . إيـه! أنـا! . . . . ليس هذا بكلب امـــرأة. ولـن أجـيـــد العناية به. ولـن أصـطحـبـه وأخـــرج. الأفـــضل أن يـظـل مـــعـك. . . . . قـــد ينسـاني بســرعـة. . . ســوف نرى. . . . .

. . . . ســـوف نــرى. . . . لـيـس الأمـــر مـــعـــقّداً جـــداً. يبـقى عليك أن تقـــول إنّه كلب أحـد أصـدقـائك. إنّه يحب جـوزيف كـثيـراً. يمكن أن يأتي جــوزيف لـيـأخـذه. . . ســيـضع في عنقــه الطوق الأحـــمـر. ليس له صـــفـيـحـة. . . .

. . . ســـوف نــرى. . . أجــل. . . .

. . . نعم، يا حـبـيـبي. . . . فــهـمت. . . .

. . . . بلى، يا حـــــبــــيـــــبي. . . . أيّة قـــــفّازات؟ . . . قـــــفّازاتك المبطّنة بالفـــــرو، القـفّازات التي كنت تلبسـهـا لتقـود السيـارة؟ . . . . لست أدري. لم أرَ شــــيــــئـــــاً. هـذا ممـكـن. ســــــــأرى. . . . . تنـتـظـر. لا تدعهم يقطعون الخط.

(تتناول من وراء المصـبـاح، على المنضـدة، قـفّازات جلديّة مبطّنة بالفرو فتقبّلها بشغف. تستأنف الكلام والقفازات مطبقة على خدّها)

ألـو. . . . ألو. . . . كـــــلا. . . . بحـــثتُ فـــوق الصـــوان، فـــوق الكنبـــة، وفي البـــهـــو، في كل مكان، لم أعـــثـــر عليـــهـــا. . . . . . إســــــمع. . . . . ســــأرى أيضـــــاً، لكنّني مـــــــتــــــــأكّدة. . . . إذا مـــــــا تمّ العثـور عليـهـا غـدا صبـاحـاً، فسـوف أضعـهـا في الأسـفـل مع المحـفـظة. . . . حـبـيـبي؟ . . . . الرســـائل. . . . أجل. . . . ســـوف تحـــرقـــهـــا . . . . . . ســـأتوجّه إليك بطلب مـــبـــتـــذل. . . . . .كـــلا، انتـــبـــه، أريد أن أقـــول، بودّي

إذا مـــا حـــرقــتـــهـــا، أن تحـتــفظ بالرمـــاد داخل
علبـــة الصَّدَف الصــغـــيـــرة التي أعطيـــتك إياها من
أجـل الـســـــجـــــائـر، وأن. . . . ألـو!. . . .
. . . . كـــــلا. . . . أنـا غـــــبــــيـّة. . . .
ســامــحني. كنت قــويّة جـداً. (تجـهش بالبكاء). . .

. . . .

. . هاك، انتـــهى. انا أمـــسح أنفي. ســأســعــد
في النهاية بالحصول على ذلك الرماد. هذا كل شيء. . .
كـــــم أنـــــــت طـــــــيّب!. . . . آه!
(تقــول الممــثلة المقطع التــالي، بين الأقــواس، باللغــة
الأجنبـــيـــة التـي تجـــيـــدها أكـــثـــر.)
«فـــيـــمـــا يتـــعلّق بأوراق أخـــتك، أحـــرقت كلّ
شـيء فـي فـــــرن المطبـخ. خـطـر عـلـى بـالـي أولاً أن
أرفـع الـرسـم الـذي حـــــــدّثـتـنـي عـنـه، لـكـن بمـا
أنّك قـلت لي أن أحـــرق كلّ شيء فـــقـــد أحـــرقت
كـــــل شـــــيء. . . . . آه! طـــــيّب
. . . . طـــيّب. . . . نـــعـــم». .
. . . (بالفـــرنســـيـــة) صـــحـــيح إنّك ترتدي المِبْذَل
. . . . . . أنـــت راقـــــــد؟. . . . . .

. . لا ينبغي أن تعمل حتى هذه الساعة المتأخرة، عليك أن تنام اذا كنت ستنهض باكراً صباح غد. ألو! . . . ألـــو! . . . . وهـــكـــذا؟ . . . . لكنني اتكلّم بصـــوت عـــال جـــداً . . . . . وهكذا، تســـمـــعني؟ . . أقـــول: ، هكذا، تســـمـــعني؟ . . . . هذا مـــضـــحك لأنّني أســـمـــعك أنا وكـــانك هنا في الحـــجـــرة . . . . ألـــــــــــــــــــــو! ألـــو! . . . . . هـــيّا، لابـــأس، أنـــا الآن لا أســـمـــعـــك. . . . بلى. لكن بعيد جداً، بعيد جداً. . . . أنت تسمعني. كل واحـــد بدوره. . . . كـــلا، لا تقلق الخـــط! . . . . ألـــو! . . . أنـــا اتـــكـــلـــم، يا آنســـة، أتكلم! . . . آه! أســـمـــعك، أسمعك بشكل جيّد جداً. أجل، كان مزعجاً. يشـــعـــر المرء أنّه ميت. يســـمع ولا يستطيع جعل صوته مسموعاً. . . . كلا، جيد جداً، جداً. بل إنّه لأمر عجيب أن يَدَعونا نتكلّم طول هذا الوقت. فقد جرت العادة أن يقطعوا الخط في غضون ثلاث

دقـــائق ثـم يـعطونك رقـــمـــاً مـــغلوطاً. . . .
بلـى، بلـى. . . . . . بل أنـا أســـمع علـى نحـــو
أفـضل من قـبل، لكنّ جـهـاز هاتفك له طنين، وكـأنّه
ليس جهازك. . . . . أنا أراك، كما تعلم. (يطلب منها
أن تـخـــــمّن). . . . أيّ وشـــــاح. . .
الوشاح الاحمر. . . آه!. . . . . مائل نحو اليسار. .
أكـــمـــنامك مـــشــــمـــورة. . . .يدك
اليـــسرى؟ السـمـاعـة. يدك اليـمنى؟ قلم الحـبـر.
أنـت ترسـم على ورقـة مـســوّدة، وجـوهاً جـانبـيـة
وقلوباً وأنجـمـــاً. أنت تضـحك. أنا لي عـينان في
مـــوضع الأذنين. . . . (تقـــوم بحـــركـــة آليّة
لإخـــفـــاء وجـــهـــهـــا). . . . .إيه! كـــلا
يـا حـــبـــيـــبي، إيّاك أن تـنظر إلـيّ. . .
. . . خـــوف؟. . . كـــلا، لـن أشـــعـــر بالخـــوف
. . . الحـــال أســـوأ. . . تبـــقى المســـألة
أنني لـم أعـد مـتـعـوّدة على النوم بمفـردي. . .
. . أجـــــل. . . . أجـــــل. .

. . أجــــل . . . نــــعـــم، نــــعـــم. . . . أنـــا
أعـــــدك. . . . أنـا، أنا. . . أنا أعـــــدك. . .
. . . . أنـــا أعـــــــــــــــــدك. . .

. . . .

. . . . أنـــــت لـــــطـــــيـــــف. . .
لست أدري أتحـــاشى النظر إلى نفـــسي. لم أعـــد
أجرؤ أن أضيء المصباح في مقصورة الهندام. بالأمس
وَجَدتُني وجـــهـــا لوجـــه مع ســـيّدة مـــسنّة. . .
. . . . كـــلا، كـــلا! ســـيّدة مـــسنّة هزيلة ذات
شعر أبيض ووجه فيه عدد لا يحصى من التجاعيد.
. . . . أنـــت طـــيّب جـــــــــــــــــداً!
لكن، يا حـــبـــيـــبي، الوجـــه المدهش أســـوأ من كل
مـــــا عـــــــداه. إنّه لـلفـنـانـين. . . . .
كنت اســـتـــمع بكلامك حين تـقـــول: ألا
انظري إلى تلك الطلعـة الصـغـيـرة الدمـيـمـة! . . .
. . . . أجل، يا ســـيـــدي العـــزيز! . كنت
أمـــــزح. . . . . أنـت غـــــبي. . . .
. . . مـــن حـــــــــــســن الـطـالـع
أنّك أخـــرق وأنّك تحـــبني. لو لم تكن تحـــبنّي

وكنتَ حـاذقـاً، لتـحـولّ الهـاتف الى سـلاح مـخـيـف. سـلاح لا يخلّف من أثر ولا يُحـدث من ضـجـيج. . . أنا، شـريرة؟ . . . . ألو! . . . ألو! ألو! . . . . ألو، حبيبي. . . . أيـن أنـت؟ . . . ألـو، ألـو ألـو، يـا آنسـة. (ترنّ الجـرس) ألـو! يـا آنسـة. قطعـوا الخط. (تضع السـماعـة. فـترة صـمت. ترفع السـمـاعـة.) ألـو! (ترنّ الجـرس) ألو! ألـو! (ترن الجرس) ألو، يا آنسة. (ترن الجرس. جرس الهاتف يرن) ألو، هـذا أنـت؟ . . . . ولـكـن لا، يـا آنسـة. قـطعـوا عليّ الخط. . . . لا أعـرف. . . . . . . أي أنّه. . . إذا. . . . انـتـظـري . . . . «أوتـوي» ١٤ فـاصلـة ٠٨ ألـو! . . . . الخط مـشـغـول؟ . . . . ألو، يا آنسـة، يطلبني من جـديد. . . . . طيب. (تضع السماعة. جرس الهاتف يرن) ألو! ألـو! ٠٤، فـاصلة ٧ «أوتوي». (تنتظر) ألـو! «أوتوي» ٤٠ فـاصلة ٧؟ آه نعم. هذا أنت يا جـوزيف. . . . . السـيّدة تتكلّم. . . . قطعـوا علينا الخط مع

مع السيّد... ليس هنا؟...
نعم... نعم... لا يعود هذا
المساء... صحيح إنني غبيّة!
كان السيد يتحدّث إليّ من أحد المطاعم، وقطعوا
الخط، فطلبت رقمه ثانية.....
... المعذرة، يا جوزيف.. شكراً...
(تغلق الخط ويبدو عليها شيء من الألم. جرس الهاتف يرن)
ألو! آه! حبيبي! هذا أنت؟......
قطعوا الخط..... كلا. كلا.
لبثت انتظر. رنّ الجرس، رفعت السّماعة فلم ألق
أحداً..... دون شك....
بكل تأكيد.... انت تشعر بالنعاس...
يالطيبتك حين هتفت لي.... طيّب جداً
(تجهش بالبكاء).... (فترة صمت)....
كلا، أنا هنا.... ماذا؟....
.... اسمح..... هذا
غباء..... لاشيء، لاشيء.....
لست أشكو من شيء.....
.... أقسم لك

إنـــــي لا أشــكــو مـــن شـــيء. . . . . الــشـــيء ذاتــه. . . . . لا شــيء الــبـــــــــــتّة. أنــت مـــــخطيء. . . . . مـــــثلمـــــا كـــــان قـــــبل قليل. . . . . . إنّمـــا نحن، كـما تعلم، نتحدّث ونتحدث من غير أن نفكّر بأنّ علينا أخـيــراً أن نسكت ونغلق الخط، فنســقط من جديد في الفراغ والعتمة. . . . عندئذ. . . (تجهش بالبكاء). أصغ إليّ، يا حبيبيي. أنا لم أكذب عليك قط. . . . . . أجل، أعـــــرف، أعـــــرف، أنـا أصــدّقُك وإنني مـقـتنعــة بذلك. . . . كـلا، ليس لذاك. . . . . إنّمـــا لأنني كـــــذبت عليك للتـــــوّ. . . . . . . مـــبـــاشـــرة . . . . . هـــــنـــــا. . . . . . على الهـاتف، منذ ربع سـاعـة وأنا اكـذب. أعـرف تمام المعـرفـة أنّه لم تعـد أمـامي أيّة فـائدة ترتجى من الانتظار، لكنّ الكذب لا يؤدي من فــائدة. ناهيك بأنّي لا أميل إلى الكذب، ولا أقـدر ولا أريد أن اكـذب عليك حـــتى في ســبــيل نفـــعك. . . . . إيه! ليس الأمر بخطير، يا حبيبي، فلا تجزع. . . .

كلّ المسـألة أنّني كـذبت عليك وأنا أصف لك ثوبي.
وحين قلت لك إنني تعـشّيت عند مـارت. . . . .
لـم أتـعـش ولـسـت فـي ثـوبـي الـوردي. إنّي أضـع
مـعطفـاً قـمـيـصـي لأنّي لشـدة مـا انتظرتك على
الهـاتف، ولكثـرة مـا حـدّقت في الجـهـاز، ولفـرط مـا
قـعـدت وقـمت ومـشـيت في الحـجـرة طولاً وعـرضـاً
أصـابني الجنون، الجنون! عندئذ ارتديت مـعطفـاً
وهمـمت بالخـروج لاسـتـأجـر تكسي وأتوجّه للمـرور
أمـام نوافـذ بيـتك حـتى أنتظر. . . . . . .
. . . . . . طـيّب! أنـتـظـر،
لـسـت أدري مـاذا أنـتـظـر. . . . . .
. . . . . . أنـت عـلـى حـق. . . . .
. . . .
. . . . . بلى. . . بلى، أنا مـصـغـيـة اليك. . .
. . . سأكون عـاقلة. . . أنا مصغيـة إليك. . . سوف
أسـتـجـيب لكلّ شيء، أقـسـم لك. . .
. . . . . . هـنـا. . . . . لـم
أتـناول شـيـئـاً. . . . . . مـا كـان
بوسـعـي. . . كنت مـتـعـبـة جـداً. . . .

. . . . رغبت، مساء أمس، في تناول قرصٍ كي أنام، وقلت في نفسي إذا ما تناولت أكثر فسوف أنام على نحو أفضل وإنّي إذا ما أخذتها كلّها، فسوف أنام من غير أن أحلم ومن غير أن أستيقظ لأني سأموت (تجهش بالبكاء). . . . . .

. . . . . ابتلعت اثني عشر قرصاً. . . .

. . . . في مساء حار. . . . .

. . . . . مثل كتلة. وشاهدت حلماً. حلمت بما هو واقع. واستيقظت مجفلة وانا مغتبطة لأنّه كان حُلُماً، وحين عرفت أنّه كان حقيقة وأني كنت وحيدة وأن رأسي لا يتكئ على عنقك أو يستند الى كتفك وأنّ ساقيّ لا تلتفّان بساقيك، أحسست أنّه لم يعد بوسعي، لم يعد بوسعي أن أعيش. . . .

. . . .

. . . . . خفيفة، خفيفة وباردة ولم أعد أشعر بقلبي وهو يخفق وتباطأ الموت في قدومه. أمّا وقد اجتاحني ألم نفسي مبرّح فقد طلبت مارت على الهاتف في غضون ساعة. . . .

. لم تتـــوفّر لديّ الشـــجـــاعـــة لأن أمـــوت وحــــــــــــيــــــــــــدة. . . . . .
. . . حـــــــبـــــــيـــــــبـي. . . . . .
حـبيـبي. . . . . كـانت السـاعـة الرابعـة صـبـاحـاً وَصَلَتْ بصـــحـــبـــة الطبـــيب الذي يقطن مـــبناها . كـــانت حـــرارتي أكـــثـــر من أربعين . يبـــدو أنّه من الصـــعب جـداً أن يســـمّم المرء نفـــســـه، ويبـــدو أنّه يخطىء دوماً في مقدار الجرعة . كتب الطبيب وصفة ولبـــثـت مـــارت بقـــربي حـــتى المســـاء . لقـــد رجـــوتهــــا أن تـنصـــــرف لأنّك قـلـت إنّك ســـتـبـــهـــتف مـــرة أخـــيـــرة وداخلني الخـــوف من أن تمنعني من الكلام . . . . حـــســن جـــداً ، جـــــداً . . . . عـلـى الاطـلاق . . . بـلـى، هـذا صـــحـــيح . . . .شيء من الحمّى . . . . ٣٨,٣ . . . . كـان ذلك مـثـيـراً للأعـصـاب . . .

. . . .

. . . لا تـــــقـــــلـــــق . . . .

. . . . . . كـم أنا خـــرقـــاء! لقـــد آليتُ على نفـــسي ألاّ أجـعلك تقلق بســبـبي، وأن أدعك

تنطلق مطمـــئناً، وأن أقـــول لك الى اللقـــاء
وكـــأنّنا ســـوف نلتـــقي غـــداً. . . . . .
. . . نتصرّف بغباء. . . بلى، بلى، غباء! . . .

. . . .

. . . . . المسـألة الشـاقّة تتـمـثّل في إغـلاق الخط
والغَرَق في الظلام. . . . . (تنتـــــحب)
. . . . ألـــو! . . . . ظـــنـــنـــت
أنّهـم قـطـعـــــــوا الخـط. . . . .
أنت طيّب، يا حـــبـــيـــبي. . . . . يا
حـــبـــيـــبي الطيّب لَكَمْ أســأتُ إليك. . . .
. . . . . نـعـم، تـكـلّم، تـكـلّم، قـل
مــــا بدا لك. . . كـنـت أتـألّم
حـتى التَّلَوّي على الأرض وحـسـبي أن تتكلّم
لأشـعـر أنّني بخـيـر، وأغـمض عـينيّ. أتدري
أنّني أحـيـانـا، حين نكون راقـدَيْن وأضع
رأسي في موقعه الصغير المعهود وأذُني ملتصقةٌ
بصـدرك وأنت تتـحـدث، كنت أسـمع صـوتك،
على نحو ما أسمعه تماماً هذا المساء عبر الجهاز. . .
. . . . مـتـخـاذل؟ . . . . إنّمـا أنا

المتـــخـــاذلة. لقـــد آليت على نفـــسي. . . . .
أنـا. . . . عـلى ســـبـــيـل المثـــال! أنت
الـــــذي. . . أنــــت. . . . أنـــت الـــذي
لـم تـهـــبني قط إلاّ الســـعـــادة. . . .
. . . . ولكن، يا حـــبـــيـــبي، أكـــرّر القـــول،
فـهـذا ليس دقيـقاً. بما أنّني كنت أعـرف- كنت أعـرف-
كنت أنتظر مـا قـد حـصل. هذا في حين أنّ العـديد
من النسـاء يتـوهّمن تمضـيـة حـيـاتهن بجـانب الرجل
الذي أحـــبـبـنه ويعلمن بالقطيـعـة من غـيـر
اســـتـــعـــدادات- كنت أعـــرف-. . . . .
. . . . بـل إنـنـي لـم أقـل لـك البـــتّة،
لكن تذكّر، عند الخيّـاطة، لقـد شـاهدتُ صـورتهـا
في إحـــدى المجـــلات. . . . فـــوق الطاولة،
مفتوحة حتى أقصاها على الصفحة المطلوبة. . . .
. . . . إنّه إنســـاني أو بـالأحـــرى أنثـــوي
. . . . . لأنـنـي لـم أشـــــــــاأ أن
أفـــسـد أسـابيـعنا الأخـيـرة. . . . كـــلا.
طبـــيـــعي تمامـــاً. . . . . لا تجـــعلني أفـــضل
ممـا أنـا عـلـى واقـع حـــــالـي. . . . .

. . . . ألــو! أســــــــــــــــمــعُ مــــــوســــيــــــقى. . . . قلت: أســـــمعُ مـــــــوســـــــيـــــــقى. . . . . .

. . . . لابـأس: عـلـيـك أن تـخـــــــبـط عـلـى الجــدار وتمنع هؤلاء الجــيــران من العــبث بـالحــاكي في مـــثل هذه الأوقـــات. لقــد تعــودّوا عـــادات ســـيّئــــة، لأنّك لـم تكـن تقـــيم في بيـــتك قــــــــــــــــط. . . . . . .

. . . . هذا ليس ضـــــرورياً. إنّ طبــيب مـــارت ســـيـعــــود غـــداً على كل حـــال. . . . .

. . . . كـــلا، يا حـــبـيـــبي. إنّه طبـيب ممتـــاز جــداً، وليس هناك مـا يدعـوني لأن أجـرح شـعـوره باســـتـــدعـــاء طبـــيب آخـــر. . . . .

. . . . لا تــــقــــلــــق. . . . .

بالتـــأكـــيــــد. . . . بالتـــأكـــيـــد. . . . .

. . . ســـتــــزوّدك هي بالأخـــبــــار. . . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . فـــــهـــــــمت. . . . . أنـا
فــــهــــمت. . . . على كل حـــال، أنا في هذه
المرّة شــجـــاعـــة، شــجـــاعـــة جــداً. . . . . .
. . . . . . مـــــــــــاذا؟. . . . إيـه! بـلـى،
أَفْضَلُ بمئـــة مـــرة. لولا أنّك هتـــفتَ لي لفـــارقتُ
الحــــيــــاة. . . . كــــلا. . . . . .
تمـــــهَّلْ. . . . تمـــــهّلْ. . . . . .
هيّا نبـحث عن وسـيلة. . . . (تقطع الحـجـرة طولاً
وعـــرضـــا وعـــذابهـــا ينتـــزع منهـــا تأوّهات)
. . . . ســـــــامـــــــحنـي. أنـا
أعـرف أنّ هذه المشـاحنة غـيـر مـقـبـولة وأنك تتـجـمّل
بالصـــبـــر. لكن افـــهـــمني، أنا أتألمّ، أنا أتألمّ.
وهـذا السـلـك هـو الأخـــــيـــــر الـذي لايـزال
يـربـطـنـي بـنـا مـــــعـــــاً. . . . . .
. . . . مـــســـاء أول أمس؟ نمت. لقـــد رقـــدت مع
جـــــهـــــاز الـهـــــاتـف. . . . .
. . . كـــــلا، كـــــلا. في ســـــريـري. . .
أجل. أعـــرف. إنّني مـشـيـرة للســخـرية، إلا أنّي

وضعت جهاز الهاتف في سريري، لأن الهاتف، رغم كل شيء، أداة وصلٍ بالنسبة لنا. فهو يصل الى عندك بالاضافة الى الوعد الذي حصلتُ عليه بأنّك ستهتف لي.

تخيّل إذن كيف احتمل في ذهني حشداً من الأحلام الصغيرة. ومخابرتك[1] هذه أضحت طعنةً[1] حقيقية تسدّدها إليّ فأهوي، أو أنّها تغدو عنُقاً[1]، عنقاً يُحكَمُ حولهُ الخناق. أو أنّني أجد نفسي في لجّة بحر شبيه بالمسكن القائم في «أوتوي» وأنا موصولة بك عن طريق أنبوبٍ بِزّة غطاس. وكنتُ أتوسّل إليك كي لا تقطع الأنبوب - أي أنّها في نهاية المطاف أحلام غبيّة حين نرويها. إلا أنها كانت في النوم نابضة بالحياة وكان ذلك رهيباً. . . . .

. . . . . لأنّك تتحدث إليّ.

ها قد مضت خمس سنين وأنا أحيا بكَ، أنت الهواءُ الوحيد الذي استنشقه، أنا أمضي وقتي في انتظارك، حين تتأخّر أحسبُ أنّك قد مُتَّ، وأموت أنا، لأنّي

---

(١) يعمد الكاتب الى استخدام جناس خاص بالفرنسية حيث لفظة «كو» ذات معان عديدة: Coup ضربة أو طعنة- Cou عنق ومخابرة هاتفية Coup de téléphone أو حرفياً: ضربة هاتف.

أحسبك ميتاً، ثم أعود للحياة حين تدخل وحين أراك هنا في النهـاية، ثـم أمـوت مـخـافـة أن ترحـل. الهـواء مـتـوفّر لي الآن لانّك تحـدّثني. ليس حلمي على جـانب كـبـيـر من الغـبـاء. إذا قطعتَ الخط تكون قـد قـطـعـت الأنـبـوب. . . . . . .

. . . .

. . . . . . هذا مـفـهـوم، يا حـبـيـبي، لقـد نمت. لقـد نمت لأنّهـا المرّة الأولى. الطبـيـب قـال ذلك: إنّهـا حـالة تسـمّم. في الليلة الأولى ننام. ناهيك بأنّ الألم يسـبّب شـروداً في الذهن، فهو لايزال جديدا جداً وترانا نتحمّله. أمّا الذي لايُمكن تحمُّله، فهو الليلة الثانية، يوم أمس، والثالثة هذا المسـاء، بعـد بضع دقـائق، وغـداً، وبعـد غـد، وأيام كـيف سـتنقـضي يا الهي؟. . . . . .

. . . .

. . . لـيـس بـي مـن حـمّى، ولا أيّة حـمّى، إنّني أرى بـوضـوح. . . . . .

. . . . . أمّا وهي بلا حلّ، فـقـد

كـــان يجـــدر بي أن اكـــون شـــجـــاعـــة وأن أقصّ عـليك عـــــدداً مـن الأكـــــاذيب . . . و . . . . وإذا سلّمنـا بأنّني قـــد نمت ، فـــبـــعـــد النـوم تـأتي الأحـــلام ثـم اليـــقـظة والطعـــام والنهـــوض والاغـتـســال والخـروج ثـم الذهاب الى أين؟ . . . .

. . . . ولكـن ، يا حـــبـــيـــبي ، لـم يكـن لـديّ قـطّ مـــا أفـــعلـه غـــيـــرك أنـت . . . . .

. . . . . عـــــــفــــــــواً! كـنـتُ على نحـــو دائم مـــأخـــوذة بك ، مـــأخـــوذة مـــــن أجـــــلـــــك . . . . . .

. . . . مـارسْتُ لهـا حـيـاتهـا المنظّمـة . . . . . .

. . . . أي كـــــأنّك تـســــــأل ســمكة كـــيف قـــرّرتْ أن تنظّم شـــؤون حـــيـاتهـا من غـيـر مـاء . . . اكـرّر لك القـول ، لـست بـحـــــاجــــــة لأحــــد . . . .

تـسليـــات ! ســـوف أبـوح لـك بمســـألـة لـيـسـت شـاعـرية جـداً إلا أنّهـا حـقـيـقـيـة . فـمنذ ذلك المســـاء الهــائل يوم الأحـــد ، لـم يشـــرد بي الذهن إلا مـــرّة واحـــدة ، عند طبـــيب الأسنان ،

حين لمس لي عـــــصـــــبـــــا. . . .
. . . . . . وحـــــيـــــدة. . . .
. . . . . وحـــــيـــــدة. . . . . .
. . . ها قـــد مـــضى يومـــان وهو لا يغـــادر
البـــهـــو. . . . . رغـــبـــتُ
في أن أناديه، وأن أُمـــسِّده. إنّه يرفض أن يَمْسَسَهُ
أحـــد. لو أثقلت عليـــه لعـــضّني. . . أجل، أنا،
أنا! إنّه يكشّر عن أنيـــابه ويزمـــجـــر. إنّه كلب
آخـــر، أؤكّد لك. إنّه يخـــيـــفني. . . . .
عند مـــارت؟ أقـــول لك مـــجـــدداً إنّ مُقَارَبَتَهُ غـــيـــر
ممكنة. لقد عـــانت مـــارت كـــثـــيراً قـــبل أن تخـــرج.
لم يكن يدعنا نفـــتـــح البـــاب. . . . .
. . . . بل هذا يشكّل مـــزيداً من الحـــذر. أقـــسم
لك إنّه يفـــزعني. لم يعـــد يأكل. لم يعـــد يتـــحـــرّك.
وحين ينظر إليّ يقـــشـــعـــرّ لنظرته كل جـــســـمي. .
. . . . كـــــيـــــف
تريدني أن أعـــرف؟ ربما يحـــســـب أنّي قـــد
أســـــــأت إلـــيـــك. . . . .
. . . يا له من حـــيـــوان مـــسكين! . . . .

. . . . . . ليس لديّ
من سبب لأكرهه. لست أفهمه إلا على
نحو أفضل. إنّه يحبّك. لم يعد يراك داخلاً. إنه
يعتقد انّها غلطتي. . . . . . حاول
أن ترسل جوزيف. . . . أعتقد
أنه سيتبع جوزيف. . . . . .
إيه! أنا. . . . . شيء من هذا
وشيء من ذاك. . . . . لم يكن متعلّقاً
بي قط. البرهان! . . . . . .
كان يبدو عليه ذلك، هذا ممكن، لكني أقسم لك
تماما على أنّه لا ينبغي أن ألمسه. . . . . .
. . . . . إن كنت لا تريد
استرداده فسوف أضعهُ عند حارس. ليس ما يدعو
لأن يصاب هذا الكلب بالمرض ويصير شرساً. . . .
. . . . . لن يعضّ أحداً
لو كان عندك. سوف يحب الذين تحبّهم. . . .
. . . . . أقصد في نهاية الأمر أن أقول: سوف
يحبّ الناس الذين تعيش معهم. . . نعم، يا
حبيبي. مفهوم. لكنّه كلب. إنه لا يستطيع،

رغم ذكـــائه أن يخـــمّن الأمـــر . . . . .
. . . . . لـم أكـن اتضـــايق أمـــامـــه .
لا يـعـلـم إذن مـــا رآه إلا الـلـه ! . . . . . .
. . . . . أقـــصـــد أنـه ربما كـــان
ينكرني ، وربما أكـــون قـــد أخـــفـــتـــه . . . . .
. . . . لـيس من يـعـــرف البـــتـــة
. . . . . عـــلـــى الـــعـــكـــس . . . . .
هاك قـصـة خـالتي جـان ، مسـاء اليـوم الذي أخبـرتُهـا فيـه أنّ ابنهـا قـد قُتِل . إنّهـا في العـادة شـاحـبـة جـداً وقـصيـرة جـداً - طيّب ، لقـد أمـسـت شـديدة الاحـمـرار وعـمـلاقـة . . . . . عـمـلاقـة حـمـراء ، كـان رأسـهـا يطاول السـقف وأمـست يداها تـطـالان كـل شـيء ، وظـلّهـا يمـلأ الحـجـرة وباتت تشـيـر الخـوف . . . . .
. . . . كـانت تشـيـر الخـوف . . . . .
. . . . . أسـتـمـيـحك عـذراً . بشـأن كلبـتـهـا . أخـذت تخـتـبيء تحت الخـزانة وهي تعـوي كـأنّهـا تهـرُّ وحـشـاً . . . . . .
ولكن لست أدري ، يا حـبـيـبي ! كـيف تريدني

أن أعـــرف؟ لا يغـــدو المرء نفـــسَه. لاريب في
أنني قِـــمت بأشـــيـــاء مـــفـــزعـــة. إعلَمْ أنّني
مـــزّقت، دفـعـــة واحـدة، رزمـــة صـوري بكاملهـا
ومـعـــهـا مظروف المصـــورّ من غـــيـــر أن ألحظ ذلك.
ومـــثل هـذا لا يقـــوى على فـــعله رجل. . . .
. . . . تلك المخـــصـــصـــة للتـــرخـــيص. . . .
. . . . مـــــــاذا؟ . . . . كـــــــلا،
مـــادمت لم أعـــد بحـــاجـــة الى ترخـــيص. . . . .
. . . . . لـيـــــست خـــــســـــارة.
كـنـتُ مُـــــــرعـــــــبـــــــة. . . . .
. . . أبداً! لقـــد شـــاء حـــسن طالعي أن ألقـــاك
وأنا مـــســـافـــرة. أمـــا لو ســـافـــرت الآن ولقـــيـــتك
لـكـان ذلـك مـن ســــــــوء طـالـعـــي. . . .
. . . . . لا تـــــــلـــــــحّ. . . . .
دع. . . . ألـــو! ألـــو! يـــا مـــــــــــدام،
اخــرجي عن الخط. أنتِ مع مـــشـــتـــركين. ألو! كـــلا،
كـــلا، يا مـــدام. . . . لكن، يـا مـــدام، نـحن
لا نســـعـى الى إثارة الاهتـــمـــام. ليس لك الا أن
تـــــــدعـــــــي الخـــــــط. . . . . .

. . . . مـــــــا الـذي يـدعـــــــوك، وأنـت
ترين أنّنا مـشـار سـخـرية، الى إضـاعـة وقـتك، بدلاً
مـــن إغـــــــــــــلاق الخـط؟. . . . .
. . . . أيه!. . . . يا حـــبـــيـــبي،
يـا حـــبـــيـــبي! لا تغـــضب. . . . .
. . . . أخـــيـــراً!. . . . كـــلا، كـــلا!
هذه المرة، أنا. لمستُ السـمـاعـة فـأغلقت الخط.
أغلقت الخط على الفـــور من بعـــد أن قـــالت
ذلـك الـكـلام الـدنـيء. . . . ألـو!. . . . .
تبـــدو عليك الصـــدمـــة!. . . . بلى، بلى،
لقـد أُصبْتَ بصـدمـة على أثر مـا سـمـعـتَه من كـلام،
فـــأنـا أعـــرف صـــوتـك. . . . . .
أنـت أُصبتَ بـصـــدمـــة!. . . أنـا. . . .
. . . . لكن يـا حـــبـــيـــبي، لاريب في أنّ
تلك المرأة لئيـمـة جـداً وهي لا تعـرفك. إنّهـا تعـتـقـد
أنّك مـثـل الرجـال الآخـرين. . . . كـلا، كـلا يا
حـــبـــيـــبي! ليس الأمـــر مماثلاً أبداً. . . . .
. . . . أيّة مـــشـــاعـــر ندم؟. . . .

ألـــــــــو! . . . . دع عـــــــنـــــــك . دع . لا تفكّر من بعـــد بتلك الحـــمـــاقـــة . انتـــهى . . . . .
. . . . كـــم أنـــت ســـــــــــــاذج! . . . .
من أيّ امـرىء كـان . صـادفت أول أمس الشـخـصـيـة التي يبـــدأ اســـمـــهـــا بحـــرف س . . . . .
بحـــرف س- ب . س . أجل ، هنري مـــارتان . . .
. . . . ســـــــــألتَنْي إن كـــــــان لـك أخ وإن كـــان هو الذي ظهـــر إعـــلان عن زواجـــه . . . .
. . . . كـــــــــــــيـــف تـــريـــد أن يـــؤثّر فـــــــــيّ ذلـــــــــك؟ . . . . . . إنّ الحـــــــقـــــــيـــــــقـــــــة . . . .
. . . . مـــــســـــحـــــة عـــــزاء . . . . . .

. . . .

أصــــــارحك بأنّي لـم أدع الحـــــديث يطـول . قلـت إنّي أنـتظـر قـــــــدوم أنـاس إلـى بيـــــتي . . . . لا تبحث عن الظهـر في السـاعـة الرابعـة عشـرة[1]، فالمسألة سهلة جداً إنّ النـاس يمقتون من يقوم بإهمالهم ، وشيئا فشيئاً أهـمـلـتُ الجـــــــمـــــــيـع . . . . . .

(١) مثل فرنسي معناه : لا تبحث عن المصاعب حيث لا وجود لها .

. . . . . لم أشـــا أن أضـيّع
دقيـقة واحدة من وقتنا . . . . سيّان تماما .
بوسعهم أن يقولوا ما يشاؤون . . . . .
. . . . على المرء أن يكون منصفاً . كان
وضعنا في نظر الناس غير قابل للتفسير . . . .
. . . . بالنسبة للناس . . . . .
العلاقة بالنسبة للناس تقوم على تبادل الحب أو التباغض .
والقطيعة هي القطيعة . نظرتهم سطحيّة على الدوام . وأنت
لن تجعلهم يفهمون أبداً . . . . .
أنت . . . . أنت لن تجعلهم يفهمون
بعض الأشياء أبداً . . . . . .

. . . .

. . . . . . أفضل شيء هو التصرّف
على نحو ما أفعلُ والاستخفاف بذلك . . على نحو
تام (تندّ عنها صيحة توجّع خافتة) إيه !
. . . . . . لاشيء . انا أتكلّم ،
أتكلّم ؛ أحسب أننا نتكلّم مثلما نفعل عادة ثم تعود
الحقيقة إليّ على نحو مباغت . . . .
. . . . (تسيل دموعُها) . . . . .

. . . . لمـــــــــــــــــــــاذا
نتـــــــيـــــه مع الأوهام؟ . . . . . أجـل . . . . .
. . . . . . أجـل . . . . كـــــــــلا! كـــــــانـوا
فيما مضى يتقابلون. كان بوسعهم أن يفقدوا رشدهم،
أن ينسـوا عـهـودهم، أن يجـازفـوا بالمستـحـيل ويقنعـوا
الذين يعـبـدونهم وهـم يعـانقـونهم ويتـشـبـثّون بهم.
كـــان بوسع نظرة أن تبـــدّل كل شـــيء. أمـــا بوجـــود
هذا الجـــهـــاز فـــإنّ مـــا انتـــهى قـــد انتـــهى. . . . .
. . . . كن مطمــــئنا. فـــالمرء لا ينتـــــحـــــر
مـــــــــــــــــرتـــين. . . . .
. . . . . . قـــــــد يكون ذلك لمحـــــــاولة
الـــــــــنـــــــــوم. . . . .
. . . . . لـن يكون بوســـــــعي شـــــــراء
مـــــــســـــــــدس! . . . .
. . . . أيـــن أجـــــــــــــــــــدُ
الـقـــــــوّة لحبّك كِذْبـةٍ، يا مـــــعـــــبـــــودي
الحـــــــبـــــــيـــب؟ . . . .
. . . . ولا واحـــــــــــدة. . . . كـــــــــــان
عليّ أن أتحلّى بالشـــجـــاعـــة. فـــالكذب في بعض

الظروف مـفـيـد. ليـتك تكذب أنت لجـعل الفـراق
أقـــــل ضـــــــــنـــــــى . . . . .
لا أقـــول إنّك تـكذب . أقـــول : ليـــتك تـكذب
وأنا أعـرف ذلك . لو انّك ، مـثـلاً ، لم تكن في البـيت
وتقـــــول لـي . . . . كـــــلا ، كـــــلا ،
حـــبـــيـــبي ! أصـغ . . . .
أصـــــدّقُك . . . . . لـم أقـــصـــــد أن
أقـــــول إنـي لـم أصـــــدّقـك . . . .
. . . . . لماذا غـــــضـــــبت؟ . . . . .
. . . . بلى ، أضـــحى صـــوتك مـــقـــيـــتـــا .
أقــول باخـــتـــصـــار إنّك لو خـــدعـــتني عن
حـــسن نيّة ثـم اكـــتـــشـــفتُ ذلك لما شـــعـــرت
حـــيـــالـك إلاّ بمـزيـد من الحنـان . . . . ألـو !
ألـــــو ! . . . . ألـــــو ! . . . . .
(تغلق الخط وهي تقـول بصـوت خـافـت وتكـرار سـريع)
يا إلهي (اجـعله يطلبني ثانية . ياإلهي اجعلهُ يطلبني ثانيـة .
يا إلهي اجـــعلـه يطلبني ثانيـــة . يا إلهي اجـــعلـه
يطلبني ثانيـة . يا إلهي اجـعله (جـرس الهـاتف يرن .
ترفـع السـمـاعـة .) لقـد قطعـوا الخط . كنت أقـول إنك

لو كـــذبت عليّ بنيـــةٍ حـــسنة ثم لاحظت ذلك،
لما شَعَرْتُ حـــــيـــــالك إلا بمـزيـد مـن
الحـــــنـــــان . . . . . .
. . . . بالتـــــأكـــيـــد . . . . .
. . . . . أنــــــت جُنْتَ! . . . . . .
. . . . . . يا حــبــيــبي . . . . . .
. . . . . . يا حــبــيــبي الغـــالي . . . . .
. . . . . (تــقـــــوم بـلـفّ الـسـلـك
حـــول عـنـقـــهــا .) . . . . . .
. . . . . أعـــرف حـــقـــا أنْ لابدّ منـه،
إلا أنّه بـــشــــع . . . . . أبـــداً
لن احـظى بهــذه الشــجــاعــة . . . . . .
. . . . أجل . نتـوهّم أننا مـتـلاصـقـان أحـدنا
بالآخـر وبغـتـة يضـعـون أقـبـيـةً وأسْقِةً
ومـدينة بحـالهـا فـيمـا بيننا . . . . هل تتـذكـرّ إيفـون
التي كـانت تتـسـاءل كـيف يسـتطيع الصـوت أن
يمرّ عـبـر تعـرّجـاتِ السلك كلّهـا . السلكُ مُلْتَفٌّ الآن
حـول عنقي . وصـوتك يلتفُ حـول عنقي . . . .
. . . . ينبـغي على مكتب الهـاتف أن يقطع علينا

الخـط بـطـريـق الـصــــــــدفـــــــــة . . . . .
. . . . إيـه! يـا حـــــبـــــيـــــبي! كـــــيـف
لك أن تتـــخيّل أنني أفكّر بمثل ذلك الشيء القـــبـيـح؟
أعـــرف تمامـــاً أنّ هذه العـــمليـــة لو نُفّذتْ من طرفك
لكانت أيضاً اكثر بشاعة من تنفيذها من طرفي . . . . . .
. . . . . كـــــلا . . . . كـــــلا ، كـــــلا . . . . .

. . . .

. . . . في مــــــرســــــيليــــــا؟
. . . . . . إســــــمع ، يـا حـــــبـــــيـــــبي ،
بما أنكمـا سـتكونان في مـرسـيليـا بعـد غـد مـسـاء ،
فــــــإنّي أرغـب . . . . . . أخـــــيـــــراً
بـــــــــودّي . . . . . بـــــــــودّي أن .
لا تـنـزل فـي الـفـنـدق الـذي كـنّا نـنـزل فـــــيـــــه
عـــادة . أنت لست مـــغـــتـــاظاً؟ . . . . . .
ذلك أنّ الأشـــيـــاء التي لا أتخـــيّلهـــا ، لا تغـــدو
مـوجـودة ، أو أنّهـا تكون مـوجـودة في مـا يشـبـه
مكاناً شديد الغموض فيتسبّب بقليلٍ من الألم . . . . .
. . . . . أنـت فـــــهـــــمـت؟ . . . . .
. . . . شـــــكــــراً . . . . . شـــــكــــراً .

أنت طيّب. أنا أحـــبك. (تنهض فـــتـــتـــوجّه.
صـــوب الســـرير وهي تحـــمل الجـــهـــاز بيـــدها)
إذن، هــــكـــذا. . . . هـــكـــذا. . . . .
. . . . . كنتُ أوشك أن أقـــول على نحـــو آلي:
نـلـتـــــقـي بـعـــــد قـلـيـل. . . . . . .
. . . . . . أشـــكّ فـــي ذلـــك. . . . . .
. . . . لـيـس مـــن يـــدري أبـــداً. . . . .
. . . . . . إيـه! . . . . هـذا أفـــضـل.
أفـــضـل بكـثـــيـــر. . . . . . (تتـــمـــددّ
على الســـرير وتحـــتـضن الجـــهـــاز بين ذراعـــيـــهـــا)
يا حـــبـــيـــبي. . . . . يا حـــبـــيـــبي، يا مليح
الـوجـــــه. . . . . أنـا جـــــريـئـــــة..
اسـتـعـجل. هيّا. أغلق الخط! أغلق بسـرعـة. أغلق!
أحـبك، أحـبك، أحـبك، أحـبك، أحـبك. . . .
. . . .
(تسقط السماعة على الأرض.)

«تسدل الستارة»